قال " الشافعي " : فإنما خاطب ا بكتابه العربَ [ص 52] بلسانها على ما تَعْرِف مِن معانيها وكان مما تعرف من معانيها : اتساعُ لسانها وأنّ َ فِطْرَتَه أنْ يخاطِبَ بالشيء منه عامّ ًا ظاهِرًا يُراد به العام الظاهر ويُسْتغنى بأوّ َل هذا منه عن آخِرِه .

وعاما ً ظاهرا ً يراد به العام ويَدْخُلُه الخاصّ ُ فيُسْتَدلّ ُ على هذا ببَعْض ما خوطِبَ به فيه وعاما ً ظاهرا ً يُراد به الخاص . وظاهرا ً يُعْرَف في سِياقه أنّ َه يُراد به غيرُ ظاهره . فكلّ ُ هذا موجود عِلْمُه في أول الكلام أوْ وَسَطِهِ أو آخِرَه .

وتَبْتَدِئ الشيءَ من كلامها يُبَيّ ِنُ أوّ َلُ لفظها فيه عن آخره . وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظِها منه عن أوّ َلِهِ .

وتكلّ َمُ بالشيء تُعَرّ ِفُه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرّ ِف الإشارةُ ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جَهَالتها .

وتسمّ ِي الشيءَ الواحد بالأسماء الكثيرة وتُسمي بالاسم الواحد المعانيَ الكثيرة .

وكانت هذه الوجوه التي وصفْتُ اجتماعَها في معرفة أهل العلم منها به - وإن اختلفت أسباب معرفتها - : مَعْرِفة ً (1) واضحة [ص 53] عندها ومستَنكَرا ً عند غيرها ممن جَهِل هذا من لسانها وبلسانها نزل الكتابُ وجاءت السنة فتكلّ َف القولَ في علمِها تكلّ ُفَ ما يَجْهَلُ بعضَه .

ومن تكَلّ َفَ ما جهِل وما لم تُثْبِتْه معرفته : كانت موافقته للصواب - إنْ وافقه من حيث لا يعرفه - غيرَ مَحْمُودة وا أعلم وكان بِخَطَئِه غيرَ مَعذورٍ وإذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بيْن الخطأ والصواب فيه .

_____ .

(1) أي معروفة